

فکره و آثاره

الإمام البنا يتحدث عن: من هم الإخوان المسلمين؟!



الخميس 13 فبراير 2020 م

يقول الناس: ما أنتم أيها الإخوان المسلمين..؟! إننا لم نفهمكم بعد، فأفهّمونا أنفسكم، وضعوا لنفسكم عنواناً نعرفكم به.. كما تُعرف الوهّابيات بالعناديين.. هل أنتم طريقة صوفية؟ أم أنتم جمعية خيرية؟ أم مؤسسة اجتماعية؟ أم ذهب سياسي؟ كونوا واحداً من هذه الأسماء والمسميات لنعرفكم بأسمائكم وصفتكم.

قولوا لرؤلء المتسائلين:

نحو دعوة القرآن الحق الشاملة الجامعة.. طريقة صوفية نقية؛ لإصلاح النفوس، وتطهير الأرواح، وجمع القلوب على الله العلي الكبير.. وجمعية خيرية نافعة. تتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتواصي المكروب، وتبر بالسائل والمدحوم، وتصلح بين المتخاصمين.. ومؤسسة اجتماعية قائمة، تحارب الجهل والفقر والمرض والذبالة في أية صورة من الصور.. وحزب سياسي نظيف، يجمع الكلمة، ويحدد الغاية، وبحسن القيادة والتوجيه.

وقد يقولون بعد هذا كله: ما زلت غامضين..!! فأجيبوهم: لأنه ليس في يدكم مفتاح النور الذي تبصروننا على ضوئه، نحن الإسلام أيها الناس.. فمن فهمه على وجه الصحيح فقد عرفنا كما يعرف نفسه، فافهموا الإسلام أو قولوا عننا بعد ذلك ما تريدون.

الطريق من هنا

﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رَسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْسُونَهُ وَلَا يَخْشُونَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهُ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (الأحزاب: 39).

الأمة الإسلامية تحمل رسالة الله لعباده، وتدرس أمانته في أرضه؛ أمانة المثل العليا والأخلاق الكريمة، والأوضاع السليمة التي تقوم على العدل والإحسان وإيابه ذي القربى وتنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى.

وقد أخذ الله العهد والموئق على هذه الأمة التي اجتباهما - وما جعل عليها في الدين من حرج، وجعلها أمّة وسطاً، هي خير أمّة أخرجت للناس- أن تبلغ رسالة الله لعباد الله، وألا تقصّر في هذا التبليغ بحالٍ من الأحوال، وأن تحفظ هذه الأمانة القدسية، وتحميها من كل اعتداء، وأن تبذل في سبيل هذا التبليغ وهذه الحماسية كل ما تملك من أنفس وأرواح ودماء وأموال، وافتربط عليها الجهاد بذلك كله في سبيل الله.. متى تعرّض رسالة الله وأماناته التي بين يدي هذه الأمة لبغي الباغين وعدوان المعتدين.. «إِنَّ اللَّهَ اسْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمَّا الْأُمُّهُمْ بَيْنَ لَهُمُ الْجِنَّةِ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَفْتَحُلُونَ» (التوبه: 111)، «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آتَفُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَأُوا وَجَاهُدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفَسُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكُمُ الصَّادِقُونَ» (الحجّات: 15).

وَهِيَنْ وَجْهُ اللَّهِ عِبَادُهُ الْمُؤْمِنُينَ بِرِسَالَتِهِ الْحَافِظِينَ لِحَدَّوْدَهُ هَذَا التَّوْجِيهُ الرَّبَانِيُّ الْكَرِيمُ غَشَّاهِمُ السَّكِينَةِ، وَأَلْقَى فِي قَلُوبِهِمُ الطَّمَائِنَةِ، وَجَلَّلَهُمْ بِرَدَاءِ الْإِيمَانِ، وَبَثَّهُمْ بِهَدَايَةِ الْيَقِينِ، فَلَمْ يَرْهُبُوهُ أَحَدًا، وَلَمْ يَخَافُوهُ شَيْئًا، وَلَمْ يَقْصُرُوهُ فِي وَاجِبٍ، وَلَمْ يَحْسِبُوهُ حَسَابًا لَقَلْةٍ أَوْ كَثْرَةٍ أَوْ عَدْدٍ أَوْ عَدَدٍ، وَحَسِبُوهُمْ أَنَّهُمْ آمَنُوا أَصْدِقُ الْإِيمَانَ بِأَنَّ اللَّهَ سَيَنْصُرُهُمْ، وَأَنَّهُ إِنْ نَصَرَهُمْ فَلَا غَالِبٌ لَهُمْ: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوكُمْ لَكُمْ فَآخِشُوهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَفَاقُولُوا خَسِبْنَا اللَّهَ وَنَعْمَلُ الْوَكِيلَ﴾ (آل عمران: 173).

في هذا الطريق سارت هذه الأمة شوطاً بعيداً، آمنت برسالة الله وأمانته، واجهت في التبليغ عذراً أو نذراً، وامتثلقت الحسام؛ حماية للعدل والرحمة والحق من أن تخضع في جلبة الظالمين وضواعه المعذبين، وتحقق الله لها وعده، فنصرها نصراً مسؤولاً.

اليوم وقد ران على قلوب الناس ما كانوا يكتبون من إثم وفساد وبغي وعناد، وضلت الإنسانية كلها سواء السبيل، وتالبت قوى الشر على ما يبقى في الأرض

من بقية الخير، وتقصّم إيليس عصابات الصهيونية الشيرية، ومن ورائها اليهودية العالمية الفاجرة، ومعها دول الكفر وأمم الاستعمار الظالمية الباغية.. الآن علينا- نحن المسلمين- في كل أقطار الأرض أن ندرك خطانا، وأن نعدل خط مسيينا، وأن نبدأ الطريق التي سلكها أسلافنا من جديد، نكفر بهذه النظم جميّعاً، ونتنكر لهذه الأوضاع جميّعاً، ونخاطع هذه الحالات كلها، ونؤمّن بالله ربّاً قوياً قدّيراً جباراً قهراً، لا يعجزه شيء؛ لأن بيده ملوكٌ كل شيء: ﴿إِنَّمَا أُمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (بис: 82).

ونؤمن برسالة الله التي بين أيدينا نظاماً اجتماعياً راينياً، لا عوج فيه ولا أمتاً، وتحتاج من حول هذه الرسالة من أقصى المحيط إلى أقصى المحيط، من إندونيسيا المسلمين إلى الدار البيضاء المسلمين كذلك، ونعلن الجهاد لله وللحقد وللعدل وللإحسان على هذا البغي الذي عمّ وطمّ، وجمازو التقديرات والحدود، واكتوينا بناهه وجهيمه، وسيصلى العالم كله عن قريب- ما لم تغير الحال- لهيب جمراته وحميمه، فإن انتصرنا عشنا سعداء، وإن قضينا قضينا شهادة كرام: «قُلْ هُنَّ تَبِعُونَ يَا إِلَّا إِحْدَى الْجَنَّاتِيْنَ وَتَحْنُ تَرْبِضُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبُكُمُ اللَّهُ يَعْذَابٌ مَّنْ عِنْدَهُ أَوْ بِأَيْدِيْنَا» (التوبه: 52)، ولابد من النصر ما دمنا صادقين: «وَلَيُنْصَرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ» (الحج: 40).

يا رؤساء الدول الإسلامية..

ويا زعماء الشعوب الإسلامية..

إياكم أعني، وإليكم أوجه القول.

١٣٦

﴿وَلَا تَنْسِوُا مِنْ رُوحِ اللَّهِ أَنَّهُ لَا يَنْسَأُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا قَوْمٌ كَافِرُونَ﴾ (يوسف: من الآية 87).

لأتصور مؤمناً بالله وبالقرآن يجد البلاس إلى قلبه سبيلاً، مهما أظلمت أمامه الخطوب، واشتدت عليه وطأة الحوادث، ووَقَعَتْ في طريقة العقبات.

إن القرآن ليضع الباس في مرتبة الكفر، ويقرن القنوط بالضلال، قال تعالى: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ (الحجر: ٥٦)، وإن القرآن ليقرّره ناموسًا كونيًا لا يتبدل، ونظارًا ربأنا لا يتغير. سنة الله ولن تجد لسنة الله تبدلًا.

إن الأيام دولٌ بين الناس، وإن القويَّ لن يستمرَّ على قوته أبد الدهر، والضعف لن يدوم عليه ضعفه مدى الحياة، ولكنها أدوار وأطوار تُعرض للأمم والشعوب، كما تُعرض للاتحاد والأفراد. «وتلك الأيام نذاروا بين الناس» (آل عمران: من الآية 140).

وإن حكمة الله في ذلك أن يليل المؤمنين، ويختبر الصادقين، ويميز الخبيث من الطيب، فيجعل الخبيث بعضه على بعض، فغيركم جميعاً، فيجعله في جهنم، ويؤجر الصادقين الثابتين نصراً وتأييداً في الدنيا، ومثوبية ومغفرة في الآخرة. «ولتبليوْكُمْ حتى تعلم المُجاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالظَّابِرِينَ وَتَبْلُوْأَكُمْ» (محمد: 31) «أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَا يَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمُ الظَّابِرِينَ» (آل عمران: 142) «أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتُكُمْ مَثْلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهُمُ الْبَاسِطَةُ وَالضَّرَاءُ وَزَلَّلُوا حَتَّى يَقُولُ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَنِي نَصْرَ اللَّهِ إِلَّا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ» (البقرة: 214).

وأقرب ما يكون هذا النصر إذا أشتد الضيق، وزاغت الأ漉ار، وبلغت القلوب الحنجر. ﴿هَنَىءُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءُهُمْ تَصْرُّفُنَّجِي مَنْ تَسْأَلُهُ وَلَا يُرِدُ تَأْسِنَةً عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (يوسف: 110).

ولم تختلف هذه القاعدة الربانية في الأمم السابقة، فكم من أمّة ضعيفة نهضت بعد قعود، وتحركت بعد خمود، وكم من أمّة بطرت معيشتها، وكفرت بأنّتم الله، فزالت من الوجود، وأذاقتوا الله لياس الجوع والخوف بما كانوا يصنون.

»وَقَبِيتُمْ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْأَرْضِ مُرَيَّنِينَ وَلَعْلَنْ عَلَوْا كَثِيرًا قَادِيَ جَاءَ وَعْدُ أَوْلَاهُمَا بَعْثَتُمْ عَلَيْكُمْ عِيَادًا تَأْوِيلًا أَوْلَى بِأَيْسِ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خَلَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا نَمَّ دَدَتْنَا أَكْمُمَ الْكَرَةِ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ أَكْثَرَ تَفْفِيرًا» (الإسراء: 4-6)، «إِنَّ فَرْعَوْنَ عَلَى الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شَيْعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ وَتَرْبِيَدَ أَنَّ نَمَّنَ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضْعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَتَجْعَلُهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلُهُمُ الْأَوَارِينَ وَمُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرِي فَرْعَوْنَ مَا كَانُوا يَحْدُوْنَ» (القصص: 4-6).

وإن القرآن ليمد هؤلء الصابرين العالمين- الذين لا يجد الألس إلى قلوبهم سبيلاً- بمعين من القوة لا تفيض إلا من رحمة الله وقدره. تتحطم أمامها قوى المخلوقين، وتعجز عن إضعافها والتبليغ منها محاولة العالمين، وما يعلم جنود ربك إلا هو.. «الذين قال لهم الناس إن الناس قد قمعوا لكم فاختشوا هم مزاهمه إيماناً وقلعوا حسبنا الله ويعتم الوكيل، فأنقلبوا بنعمته من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم، إنما ذلكم الشيطان يخوّف أوليائه فلا تخافوهم وآخرون إن كنتم مؤمنين» (آل عمران: 175)، «قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما أدخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فماكم غالبون وعلى الله فتوكلاه إن كنتم مهمن» (المائدة: 23).

وقد لا يخطر ببال هؤلاء المؤمنين الصابرين أنهم سيصلون إلى الغاية بمثل هذا اليس، أو تتحقق لهم الآمال بهذه السهولة، ولكن الله العلي يُدْنِي منهم ما بعد، ويُهُونُ عليهم ما صعب، ويوافيهم بالنصر من حيث لا يحتسبون.. ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوْلَى الْحَسْرِ مَا ظَنَّتْ مُؤْمِنُونَ يَخْرُجُوا وَظَنَّوْنَ أَنَّهُمْ مَانعُوهُمْ حَضُورُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَتَبَسِّسُوا وَقَدْ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّغْبَةُ يُخْرِجُونَ بِعِوْتَهُمْ يَأْتِيَهُمْ وَآيَةُ الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوهُمْ أَوْلَى الْأَبْصَارِ وَلَوْلَدَ أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجُلْلَةَ لَعَذَبُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ أَنَّارٍ﴾ (الحسن: 2-3)، ﴿وَرَدَ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْرِهِمْ لَمْ يَتَأْلَمُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا، وَأَنْزَلَ اللَّهُ الَّذِينَ ظَاهَرُوْهُمْ مِنْ صَيَّاصِيهِمْ وَقَدْ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّغْبَةُ فَرِيقًا قَاتَلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ (الأحزاب: 25-26).

فِيَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِهِذَا الْكِتَابِ الْكَرِيمِ:

أليليْك بكم أن يَقُول قائل: ماذا نصنع ونحن ضعاف وخصومنا أقوىاء؟!

أو تتحمل بأحد منكم أن تخلف وفي صدره هذا **اللهم الواسع**. ومن ورائه هذا **التأييد الشامل** عن **نصف الجنادل**?! اللهم لا.

من دستورنا

إن (الإخوان المسلمين) يرون الناس بالنسبة إليهم قسمين:

قسم اعتقد ما اعتقدوه من دين الله وكتابه، وآمن ببعثة رسوله وما جاء به، وهؤلاء تربطنا بهم أقدس الروابط: رابطة العقيدة، وهي عندنا أقدس من رابطة الدم ورابطة الأرض، فهؤلاء هم قومنا الأقربون، الذين نحن إليهم، ونعمل عن حماهم، ونفتديهم بالنفس والمال في أي أرض كانوا، ومن آية سلالة انحدروا.

وقد ليسوا كذلك، لم نرتبط معهم بعد بهذا الرباط، فهو لهم نسالهم ما سالمونا، ونحب لهم الخير ما كفوا عدوائهم عنا، ونعتقد أن بيننا وبينهم رابطة هي رابطة الدعوة.. علينا أن ندعوه إلى ما نحن عليه: لأنه خير للإنسانية كلها، وأن نسلك إلى نجاح هذه الدعوة ما حدد لها الدين نفسه من سبل ووسائل، فمن اعتدى علينا منهم ردتنا عدوانه بأفضل ما يرد به عدوان المعذبين..

أما إذا أردت ذلك من كتاب الله:

1- ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْرَوْهُ فَاصْلِحُوهَا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ﴾ (الحجرات: من الآية 10).

2- ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾ (المتحنة: 8-9).

وحدة.

والآمة الإسلامية أمة واحدة؛ لأن الأخوة التي جمع الإسلام عليها القلوب أصل من أصول الإيمان، لا يتم إلا بها، ولا يتحقق إلا بوجودها، ولا يمنع ذلك حرية الرأي وبذل النصح من الصغير والكبير، وللصغير والكبير كذلك؛ وهو المعتبر عنه في عُرف الإسلام ببذل النصيحة، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم: "الدين النصيحة"، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: "الله، ولكتابه، ولرسوله، ولائمة المسلمين وعامتهم"، وقال: "إذا رأيت أمتي تهاب أن تقول للظالم يا ظالم.. فقد تودع منها!!". وفي رواية: "وبطن الأرض خير لهم من ظاهرها"، وقال: "سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر، فأمره ونهاه، فقتله".

